University of Benghazi
Faculty of Education Almarj

جامعة بنغازي
كلية التربية – المرج
ISSN 2518-5845

Global Libyan Journal

المجلة الليبية العالمية

العدد التاسع والأربعون / أكتوبر / 2020

محمد صالح حرب ودوره في حركة الجهاد الليبي

د. عادل فرج عبد العالي الأزرق / محاضر بقسم التاريخ / كلية الآداب والعلوم المرج

University of Benghazi
Faculty of Education Almarj

جامعة بنغازي
كلية التربية – المرج
ISSN 2518-5845

Global Libyan Journal

المجلة الليبية العالمية

العدد التاسع والأربعون / أكتوبر / 2020

محمد صالح حرب ودوره في حركة الجهاد الليبي

ملخص البحث

عقب الغزو الإيطالي لليبيا عام 1911م تمكن الليبيون اول الأمر من صد الهجوم الا ان الأمور صارت لغير صالحهم مما اضطر بعض القبائل خاصة في إقليم برقة إلى الهجرة لمصر لاتخاذها قاعدة لتنظيم صفوفها ضد المستعمر ، وأدت بعض الشخصيات المصرية دورا مهما لدعم هذه الحركة وكان من أبرز تلك الشخصيات محمد صالح حرب (1889_1968) قومندان مرسى مطروح آنذاك وهو اول ضابط مصري ومعه مجموعة من الضباط والمتعاونين من الحزب الوطني ينظمون إلى الجيش السنوسي وقد لعب محمد صالح حرب دورا كبيرا في دعم المجاهدين وذلك بإمدادهم بالسلاح والمؤن والعتاد ، كما ساعد في تكوين الجيش الليبي في صحراء ابورواش عام 1940م عندما كان وزيرا في حكومة علي ماهر باشا 1939_1940 م.

وتأتي أهمية هذه الدراسة من خلال التماسك الذي لا يمكن لأي من القطرين الليبي والمصري التخلي عنه عند تعرض أحدهما للخطر.

Mohammed Saleh Harb and His Role in Libyan Struggle Movement .

Abstract

After the Italian invasion of Libya in 1911 AD, Libyan first managed to repel the Italian attack, but things became to their disadvantage, that some tribes specially in Burqa (cereynica) were forced to emigrate to Egypt to take it as abase of orginizing their ranks against the colonizer. Some Egyptian characters played an important role in supporting this movement. The most prominent of these characters was Mohammed Salih Harb(1889-1968) the Qumamdan of Marsa Matruh at that time, he was the first Egyptian officer among a group of officers and Collaborators from the national party who join the Senussi army.

Mohammed Salih Harb played a great role in supporting the fighters (Mujahideen) by providing them with weapons, supplies and equipment, and he also helped in forming of the Libyan army in Abu Rawash desert in 1940 when he was a minister in Ali Maher Pasha government 1939-1940 AD.

The importance of this study comes through the cohesion that neither the Libyan nor Egyptian states can afford to abandon when one of them is exposed to danger.

مفتاح الرموز

ص	صفحة
ت	ترجمة
د.ت	دون تاريخ
د. ن	دون دار نشر
د. م	دون مكان
ج	الجزء

key

Page p

Translated by T.

Without the date of D.T.

Without the publisher of D.N.

Without place dr. M

Part c

كلمات مفتاحية

LIBYA	ليبيا
The Italian invasion	الغزو الايطالي
gently	برقة

The Senussian movement	الحركة السنوسية
Strive or Struggle	الجهاد
Libyan army	الجيش الليبي
Egyptian Libyan cohesion	التماسك الليبي المصري

المقدمة

تعد الصلات التاريخية بين الأشقاء الليبيين والمصريين قديمة قدم التاريخ إذ بحكم الجوار ارتبطت ليبيا مع مصر بعلاقات سياسية واقتصادية واجتماعية منذ أقدم العصور ، وقد كانت برقة امتدادا طبيعيا لمصر خلال العصور التاريخية وخاصة العصرين الفرعوني والبطلمي والروماني فضلاً عن العصور الإسلامية وكانت هجرة الليبيين إلى مصر خلال هذه العصور لا تنقطع ومؤثراتهم لا تزال حتى يومنا هذا في كل من غرب الدلتا والفيوم والصعيد والواحات والصحراء الغربية .

وأهم ما يميز تلك الصلات التاريخية في الواقع هو التمازج الاجتماعي بين الليبيين والمصريين وقد نتج عن ذلك صلات نسب ومصاهرة وقربي حيث لا توجد قبيلة عربية ليبية في الإقليم الشرقي من ليبيا إلا ولها فروع في القرى والمدن الحدودية المصرية ، ويتضح ذلك أكثر في إقليم الصحراء الغربية والريف المصري ، حيث أخذت بعض القبائل الليبية كالفواید والجوازي ، والبراعصة وأولاد علي والفرجان والهنادي وترهونة والجهمة والعمايم والهوارى والربايع والقذاذفة وورفلة تستقر تدريجيا أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .

لقد استقرت تلك القبائل فضلاً عن بعض القبائل الليبية الأخرى في إقليم مريوط وفي واحات الصحراء الغربية ، سيوه والفرافرة والداخلة والخارجة ، وغيرها من الأقاليم الأخرى وقد لعبت تلك القبائل دورا كبيرا في تعزيز الصلات الاقتصادية والاجتماعية بين الليبيين وبقية القبائل المصرية في تلك الأقاليم ، كما ساهمت في إرساء دعائم النهضة العمرانية في تلك الجهات ، فضلا عن مساهمتها في النشاط الاقتصادي والتجاري والزراعي والرعوي .

وقد ظلت العلاقات مستمرة بين البلدين طوال العصور المختلفة وحتى الآن ، فكانت برقة تتجه إلى مصر باعتبارها مركزا للحضارة والعمران ، وكانت مصر بمثابة بوابة التعريب بالنسبة للمغرب كله، فعن طريقها انتقلت الحضارة العربية إلى الشمال الأفريقي ، وكان طريق الحج المغربي أحد روافد استمرار العلاقات بين مصر والشمال الأفريقي ، فقد كانت مصر معبرا للحجاج المغاربة بمن فيهم الليبيون ، فكان طريق الحج الساحلي طريق رحلة واستقرار ، فقد أستقر العديد من أهل المغرب في القاهرة ، وأصبح لهم حي يطلق عليه حي المغاربة .

أما في العصر الحديث فإن الحدود الليبية المصرية تعد من أطول الحدود العربية حيث يبلغ طولها حوالي 1094 كم ، وقد برزت أهمية ليبيا بعد الاحتلال الإيطالي لها سنة 1911 م خاصة أنها تتمتع بموقع استراتيجي مميز ، جعلها مطمع أنظار الدول الكبرى فهي تشغل مساحة 2100 كم على الساحل الأفريقي الشمالي من رأس اجدير حتى بئر الرملة قرب السلوم وهي تعد عمق استراتيجيا أمام تحرك الجيوش ، لذلك تعتبر ليبيا عمق استراتيجي لمصر وكذلك حال مصر بالنسبة إلى ليبيا وخاصة إذ تعرضت إي منهما لاعتداء خارجي ، فليبيا تمتلك مساحة جغرافية واسعة مما يجعلها أبعد عن متناول القذائف إذا حدثت حرب فيها ، كذلك يساعد هذا الاتساع في تدريب الطيران ، ويضاف إلى ذلك أن موارد ليبيا من العملات الأجنبية تعزز مركز مصر خلال اسهاماتها في نفقات التسليح .

أما إذا كان هناك توتر في العلاقات بين البلدين ، فإن الأراضي الليبية تشكل خطورة على الأمن المصري وكذلك الحال على الأمن الليبي ، خاصة إذا كانت هناك قواعد عسكرية أجنبية ، فالمسافة بين طبرق و بور سعيد لا تزيد عن 820 كم ، وبينها وبين الإسكندرية 530 كم ، ومن الواحات الليبية الجنوبية يمكن الإشراف على وادي النيل حتى وادي حلفا فالمسافة بين واحة الجغبوب ومدينة بني سويف 570 كم ، وبينها وبين الواحات البحرية 450 كم .

وبسبب ذلك اهتمت كلٍ من مصر وليبيا باستقرار الأوضاع في أراضي الطرف الأخر ، فضلاً عن حرصها على عدم وقوع أي منهما تحت السيطرة الأجنبية ، الأمر الذي يشكل خطورة على الأراضي المصرية والليبية لذلك ساعدت مصر في استقرار ليبيا وساعدت ليبيا في استقرار مصر .

وعلى الجانب الأخر كان لبدو صحراء مصر الغربية دورا في تقديم يد المساعدة الوطنية والعسكرية إلى إخوانهم عربان ليبيا ، ولعلَّ من أبرزها مساهمة أولاد علي في الجهاد مع أحمد الشريف السنوسي بليبيا ضد الايطاليين والدليل على ذلك أنه عندما خرج محمد صالح حرب قومندان مرسى مطروح ووصل إلى قبيلة القنيشات وجمع رؤساء القبائل والمشايخ والعمد ، قال " نحن نقف الآن بين معسكرين أحدهما معسكر العرب الذين يقولون أنهم جاءوا ليخلصونا وقد أقنعني ضميري وواجبي بعدم البقاء مع الإنجليز " وبذلك انضمت القبائل الموجودة في صحراء مصر الغربية ضد الإنجليز في أثناء هذه الغارات ، كذلك اشترك عربان الصحراء الغربية مع عبد الرحمن عزام وعمر المختار وعزيز المصري في الحرب مع ايطاليا في الجبل الأخضر فضلاً عن اشتراك العربان في الجيش السنوسي الذي تكون بمصر عام 1940 م وكان ذلك ناتجا عن علاقات النسب والقربى بين القبائل المصرية والليبية .

وكان لمحمد صالح حرب دورا بارزا في حركة الجهاد الليبي ضد المستعمر الايطالي في فترات أحمد الشريف السنوسي ويتضح هذا الدور في إمداده المجاهدين بالمؤن والسلاح ورفع العلم المصري على السلوم عندما كان قومندانا عليها أي محافظا كما أفشل الثورة التي قادها (هلال السنوسي) وخرج فيها عن طاعة أخيه السيد أحمد الشريف السنوسي ، وساعده في تكوين الجيش الوطني الليبي في صحراء أبورواش بالجيزة سنة 1940م عندما كان وزيرا للدفاع في حكومة علي ماهر باشا .

من هنا تأتي أهمية البحث من أنه يؤكد أهمية العلاقات المصرية الليبية ومدى مساهمة الشعبين وقيادتهما في الأزمات خاصة حينما يتعرض الأمن المصري الليبي للخطر.

اما الاشكالية التي يحاول البحث معالجتها فهي تكمن في تسليط الضوء على الدور الذي تلعبه مصر حكومة وقيادة وشعب في الدفاع عن ليبيا كخيار استراتيجي لحماية أمن البلدين وارتباط هذا الدور بما تتعرض له ليبيا اليوم من اعتداء خارجي ، فكان لابد من اختيار شخصية محمد صالح حرب والدور الذي قام به لدعم المقاومة الليبية ضد الاحتلال الايطالي لإبراز اهمية التماسك الذي يربط البلدين واخذ العبرة منه بأهمية الدور المصري في التعامل مع ما تتعرض له ليبيا اليوم من تدخلات خارجية .

ولقد أتبعت المنهج التاريخي السردي الوصفي التحليلي حيث وصف وسرد الأحداث من خلال ما تم الحصول عليه من مراجع ومصادر وتحليلها .

اما أهم الدراسات السابقة التي تمكن الباحث من دراستها فهي :

محمد صالح حرب: الوطن والجيش ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1940م لقد تحدث عن شخصية محمد صالح حرب ونشأته وحياته ودوره السياسي والوطني تجاه مصر ولقد أورد بعض الأمور ذات العلاقة بدوره القومي في التصدي للاستعمار الا انه لم يولي موقف محمد صالح حرب تجاه القضية الليبية اهتماما كبيرا رغم كبر الحجم والدور الذي قام به في الجهاد ضد الغزو الايطالي لليبيا .

مجدي رشاد عبد الغني: العلاقات المصرية الليبية ، 1945 1969م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2007م. أهتمت هذه الدراسة بالعلاقات المصرية الليبية واهمية المصير المشترك بين البلدين وأوضحت هذه الدراسة الدور المصري في تكوين الهوية الليبية لاسيما وقوف المصريين الى جانب ليبيا حتى تمكنت ليبيا من بناء جيشها واستعادة اراضيها ودعم الجانب الليبي حتى تمكن من الحصول على الاستقلال واعلان المملكة الليبية المتحدة في 24- ديسمبر -1951م .

محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، 1957م. لقد تناولت هذه الدراسة الحركة السنوسية منذ نشأتها في ليبيا ودورها الديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي وما كان لهذه الحركة الدينية من دور فعال في نشر الاسلام في شمال واواسط افريقيا حتى قدوم المستعمر الحديث وبداية تغير دور الحركة الى العمل العسكري ثم السياسي ، كما تحدثت عن الدور النضالي للحركة ورجالها في داخل ليبيا وخارجها ضد المستعمر الايطالي حتى تمكنت من تحقيق هدفها باستعادة ليبيا مرة اخرى من هيمنة الاستعمار .

والله ولي التوفيق .

الاحتلال الايطالي لليبيا ودور السنوسية في مقاومته :

لعب محمد صالح حرب (1889-1968) دوراً كبيراً في حركة الجهاد الليبي فقد قدر له أن يرتبط في مستهل حياته العملية بالجبهة الغربية ، وأن يرتبط أسمه بالقضية الليبية ، وكان له دور كبير في تهريب العسكريين إلى برقة وطرابلس لكي يقودوا حركة المقاومة ضد المحتل الايطالي ، ولم يقتصر دور صالح حرب على تهريب العسكريين ، وإنما امتد إلى تهريب المؤن والذخائر إلى المجاهدين الليبيين[1].

عندما أنشئ الهلال الأحمر توافدت القوافل والمؤن والأدوات الطبية لعلاج الجرحى والمصابين أرسل صالح حرب رسالة إليهم يطالبهم بإرسال الأسلحة والذخيرة مفكوكة في أجولة الأرز والدقيق وبالفعل وصلت هذه الأسلحة إلى المجاهدين الليبيين رغم الرقابة الشديدة التي فرضها الإنجليز[2] حيث لم يتردد صالح حرب في تهريب الأسلحة إلى المجاهدين وذكر لزملائه أنه لابد من تهريبها حتى لو أدى الأمر إلى انضمام الضباط والجنود المصريين إلى صفوف المجاهدين بلا عودة[3] .

وعلى أثر انسحاب الدولة العثمانية من ليبيا بعد توقيعها معاهدة أوشي لوزان في أكتوبر 1912م[4] اشتدت حركة الكفاح ضد الإيطاليين ، وقامت هذه الحركة على كاهل الإمارة السنوسية بزعامة أحمد الشريف السنوسي[5] وقد طلبت ايطاليا من السيد أحمد الشريف (1873-1933) أن يدخل معها في مفاوضات الصلح ، واشترطت على نفسها ضمان أن يصبح احمد الشريف أمير للبلاد تحت حمايتها أو انتدابها ، وتتفق معه بمنطقة نفوذ تحت سلطانه وتحتفظ هي بالموانئ والثغور الساحلية ، ولكن السيد أحمد الشريف رفض هذه العروض برمتها ، واستطاعت ايطاليا أن تستميل الخديوي عباس حلمي (1874-1944) لإقناع السيد أحمد الشريف ، فأرسل إليه بالجبل الأخضر في عام 1913م وفداً ، ولكن السيد أحمد الشريف أصر على جلاء ايطاليا عن البلاد[6] .

ورغم استمرار الكفاح الوطني في ليبيا فقد أخذت الصعوبات الشديدة مع بداية عام 1914م تحيط بالمجاهدين ، وذلك لانقطاع الموارد عنهم ، والضغط الذي مارسته انجلترا على الحكومة المصرية لإيقاف الأسلحة والذخائر والمؤن عن المجاهدين ، وعندما استبدل بالمأمورين المصريين في الحدود الغربية مأمورين إنجليز ، طلب من قوات خفر السواحل مراقبة حدود مصر الغربية

---

[1] – أحمد حسن الكتابي، الكفاح العربي الإسلامي ضد الاستعمار (الدور الوطني لمحمد صالح حرب) ، دار عين، القاهرة ، 2007 م، ص32.

[2] – محمد صالح حرب ، الوطن والجيش ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1940 ، بروشن : تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م ت عماد حاتم ، طرابلس 1988م ، ص230.

[3] – المرجع نفسه ، ص231.

[4] – مجيد خدوري، ليبيا الحديثة ، ترجمة نقولا زيادة ، بيروت ،1966م ، ص 42.

[5] – محمد صالح حرب ، المرجع السابق، ص42.

[6] – مجيد خدوري ، المرجع السابق ، ص 89 ، 90.

والشرقية والعمل على قطع كل سبل الانتقال بين مصر وليبيا ، فكانت أن قامت ثورة عنيفة على الوزارة المصرية تزعمتها الصحافة الوطنية متهمة إياها بالخيانة والفساد[7] .

في هذا الجو المشحون بالسخط على الإيطاليين والحكومة المصرية والإنجليز برز دور الضابط محمد صالح حرب في إمداد المجاهدين بالمؤن والسلاح ، ونرى هذا الدور واضحا في المحافظة على قطعة غالية من الوطن وذلك عندما رفع العلم المصري على السلوم[8] ، أثبت محمد صالح حرب مقدرته وحسن إدارته في عمله فرقي إلى رتبة يوزباشي (نقيب) عام 1913م وفي عام 1914م عين قومندانا لقسم مرسى مطروح وهي تعادل وظيفة محافظ الصحراء الغربية[9] ، وفي ذلك الوقت كان طوفان السخط يجتاح العالم العربي وخاصة مصر بشأن ليبيا ، فأصدر هنتر باشا قائداً عام لسلاح الهيجانة منشورا خلاصته كل ضابط أو جندي يساعد عرب ليبيا بأية صورة من صور المساعدة يفصل من الخدمة حالا وليس له حق في معاش أو مكافأة ، ويمنح مبلغ خمسمائة جنيه كل من يقبض على احد من المجاهدين[10] .

قام محمد صالح حرب برفع العلم المصري على السلوم التي كانت انجلترا تدرك مكانتها المهمة وموقعها الممتاز بل أنه طلب من زملائه القسم على المصحف للدفاع عن الأرض حتى لا تتكرر مأساة رفع العلم البريطاني على السودان[11] ، وهذا ما يدل على فهم محمد صالح حرب الواعي بأحداث التاريخ وعبره[12] وبنشوب الحرب العالمية الأولى سنة 1914 ، تطور دور محمد حرب في الجبهة الغربية وساعدت الأحداث على الاتصال بالسيد السنوسي وتوثيق علاقته به ، وأفشل مخطط الإنجليز في حدوث حرب بين الجنود السنوسيين والمصريين ، وجمع بين الضباط وضباط صف القوتين في حفل تعارف وصداقة بينهما حتى يتسنى للجهات العليا أن تنتهي إلى قرار فيه مصلحة الجميع[13] .

كما أفشل حرب تلك الثورة التي قادها السيد (هلال السنوسي) وخرج فيها عن طاعة أخيه السيد أحمد الشريف السنوسي مشعلا نار ثورة في سيدي براني ومؤجج لنار الفتنة باسم خليفة المسلمين ، وحمل السيد الشريف كل تقدير لدور صالح حرب في رأب الصدع الذي حدث في كيان العائلة السنوسية ، ثم قابله وشكره[14] .

---

7 – عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، القاهرة ، سنة 1980 ج1 ، ص223.

8 – أحمد حسن الكتاني، المرجع السابق ، ص34.

9 – دار الوثائق ، محافظ عابدين ، مجلس الوزراء المصري ، محفظة (35) مذكرات وزارة الحربية والبحرية.

10 – نفس المصدر السابق .

11 – رأفت غنيمي الشيخ، مصر والسودان في العلاقات الدولية، مكتبة سعيد رأفت، عين شمس، القاهرة ، 1981، ص139.

12 – أحمد حسن الكتاني، المرجع السابق ، ص 38.

13 – المرجع السابق ، ص38 ، 39.

14 – دار الوثائق القومية ، محافظة عابدين ، محفظة رقم 124 ، تقارير عن ليبيا لعام 1914م.

لقد خشي الإنجليز انضمام حرب إلى المعسكر السنوسي ، لاكتشافهم للدور الذي لعبه في تهريب الأسلحة والذخيرة والمؤن إلى المجاهدين السنوسيين في برقة ضد الايطاليين وما يعرفون عنه تعصبه الوطني والديني[15] الا أن خوفهم لم يمنع من انضمام محمد صالح حرب إلى معسكر المجاهدين وأدى العامل الديني والوطني الدور الأكبر فقد فكر في قضية بلاده واحتلال الإنجليز لها والوقوف مع القوة الإسلامية ضد أعداء الإسلام إلى جانب قناعته والضباط المصريين بالدفاع عن وطنهم ، كل هذه العوامل تجمعت في اللحظة المناسبة لتدفع الضابط الكفء القدير ، والحاكم العسكري لمرسى مطروح ، والبالغ من العمر ستة وعشرين عاماً إلى تأجيج ثورة في الحدود الغربية ضد الإنجليز في الخامس والعشرين من نوفمبر 1915م[16] وكانت هي بداية المعارك التي بدأت بين الجيش السنوسي و الإنجليزي.

كانت المشكلة الأولى التي واجهت الجيش السنوسي هي كيف يحارب بغير تموين ، وقد رأى حرب بحكم خبرته في الصحراء أن العرب يختزنون جزء من محصول عامهم من الشعير ليكون لزراعة العام التالي لذا أتخذ الترتيبات اللازمة للاتفاق مع عرب أولاد علي والمرابطين لكي يقدموا ما يلزم الجيش بطريقة منظمة وأن تعطى لهم إيصالات بقيمة ما يؤخذ منهم ، وتم تنظيم التموين على هذه الصورة ، ورفض العرب أن يأخذوا إيصالات بما يقدمونه من الشعير والماشية واحتسبوا ذلك جهادا في سبيل الوطن[17] .

وقد وقعت أولى المعارك في أم الرخم غرب مرسى مطروح " بين طلائع السنوسيين الزاحفة وبين الإنجليز في ديسمبر 1915 م ، واشترك في هذه المعركة بعض رجال قبيلة أولاد علي مع المجاهدين وتم انسحاب القوات الإنجليزية تحت جنح الظلام تاركة العديد من القتلى والجرحى مما أعطى للمجاهدين دفعة كبيرة ، إذ كانت خسائرهم محدودة وأستشهد منهم عدد قليل[18] .

وفي أواخر ديسمبر 1915م انتقل المجاهدون إلى "وادي ماجد" حيث الماء وأعادوا تنظيم أنفسهم ، وحاولت القوات الإنجليزية محاصرتهم ، إلا أنهم انسحبوا إلى الغرب حين عاونت السفن الحربية الإنجليزية بمدافعها إحكام القبض عليهم وقاتل المجاهدون قتالا شديدا وكانت خسائر الطرفين كبيرة ، وتراوح عدد شهداء المجاهدين بين المائة والخمسين والثلاثمائة مجاهد ، وقد أشترك إلى جانب محمد صالح حرب جماعة من الضباط المصريين[19] .

أراد الإنجليز أن يقضوا على قوات المجاهدين ، فوضعوا خطة تتمثل في إعداد قوة انجليزية كبيرة قدرت بثلاثة عشر ألف مقاتل مسلحين بأسلحة متطورة لإنهاء هذه الحرب والتفرغ للحملة التركية على قناة السويس ، إلا أن المطر الغزير أفسد خطتهم

15 – أحمد حسن الكتاني ، المرجع السابق ، ص 42، 43.

18 – المرجع نفسه ، ص45.

17– دار الوثائق القومية محافظ عابدين ، محفظة رقم 1422 عن الحدود الغربية لمصر.

18 – أحمد لطفي السيد ، قبائل العرب في مصر ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1935 ، ص47.

19 – بروشين ، المرجع السابق ، ص119 ؛ محمد الهادي أبو عجيلة ، كفاح الشعب الليبي من اجل الاستقلال والوحدة ، رسالة دكتوراه كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر 1987 ، ص351.

وتعطلت معظم سيارتهم المدرعة عن السير وما أن توقف المطر حتى هاجم الإنجليز المجاهدين في بئر "بو تونس" في الثالث والعشرين من يناير 1916م ، ونشبت معركة عنيفة بين الإنجليز وقوات المجاهدين التي كانت تتألف من ألفي جندي نظامي وأربعة آلاف من البدو[20] .

وتؤكد الروايات الشفهية بمكتبة مركز جهاد الليبيين الصوتية أن المجاهدين رسموا خطة محكمة لهذه المعركة كلفت الإنجليز غاليا ، وتتمثل تلك الخطة التي رسمها محمد صالح حرب في مواجهة القوات الإنجليزية بفيلق الهجانة المصرية – بقيادته – والذي كان البريطانيون قد نظموه في السابق ، وكان هذا الفيلق مسلحا بالرشاشات ، فضلاً عن توزع قوات المجاهدين بشكل منظم على طول الجبهة (ميمنة – ميسرة – وسط – احتياط) ، وقد أشترك السيد أحمد الشريف بنفسه في هذه المعركة التي أبلي المجاهدون فيها بلاء حسنا إلا أن نقص الذخيرة والإمداد اضطرهم إلى الانسحاب[21] .

تأثرت بقية المعارك ونتائجها تبعا لذلك فأخذ المجاهدون في الانسحاب والتقهقر اضطرارا ، وتأزم موقفهم ، فطلب السيد أحمد الشريف السنوسي أن يعقد مجلسا حربيا دعي إليه جعفر العسكري (1886 – 1936) ونوري باشا (1889–1949)، ومحمد صالح حرب بصفته نائبا عن الضباط المصريين ، وفيه أنحى السيد أحمد الشريف باللائمة على الأتراك مما جعل نوري باشا وجعفر العسكري يقترحا فكرة حرب العصابات من الجهة الشمالية ، في شكل هجمات عديدة ومتفرقة على المدن القريبة مثل الإسكندرية والبحيرة[22] .

أما محمد صلح حرب فعارض هذه الفكرة معارضة شديدة فقد رأى أن التقدم من ساحل البحر في أرض مكشوفة يسهل على الإنجليز معرفة مواقع قوات المجاهدين وتسليط النار عليها من مدافع سفنهم، كما أن طبيعة الأرض صلدة متماسكة تصلح لسير السيارات المدرعة واستخدام قوات الفرسان الكبيرة ، ونقل المشاة على العربات من مكان إلى آخر ، فضلاً عن أن القرب من الساحل يُمكن الإنجليز من إنزال أي نجدات أو إمدادات من سفنهم إلى البر بسهولة ، وذلك كله في وقت لم يكن لدى المجاهدين غير الجمّل الواحد لكل ثمانية أنفار ولا سبيل لحماية مواصلاتهم ، كما أن الإقدام على حرب العصابات في منطقة (العقبة والعقيبة) كما يريد نوري وجعفر لا يدل على فهم صحيح لطبيعة المنطقة ، حيث أنها منبسطة لا يوجد بها غابات ولا جبال ولا قري تستطيع العصابات أن تلجا إليها وتعتصم بها ومن الهين على الإنجليز أن يكشفوا مواقعها[23] .

كان على محمد صالح حرب أن يقدم القرار الصائب ، فأقترح أن ينتقل المجاهدون إلى الجنوب لاحتلال الواحات ، حيث أنها المكان الذي يصلح لتنظيم حرب العصابات ، والاتصال بمشايخ العرب وأهالي الصعيد في المدن والقرى حتى يهب الجميع في

---

20 – أحمد حسن الكتاني ، المرجع السابق ، ص48.

21 – ثناء عثمان أحمد ، مصر وليبيا من الاحتلال البريطاني حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس 1990م ، ص118.

22 – ثناء عثمان أحمد ، المرجع السابق ، ص123.

23 – حسن سليمان محمود ، ليبيا بين الماضي والحاضر ، طرابلس ، 1961م ، ص91.

ثورة ضد الحكم البريطاني في مصر للتعاون مع قوات المجاهدين الزاحفة شرقاً[24]. ولعلَّ ما يؤكد قوة رأي محمد صالح حرب ، هو عدم معارضة نوري باشا وجعفر العسكري لهذا الرأي ، خاصة أن الواحات تعد أماكن لتموين القوات بما يلزمها من غذاء وماء ، كما أن انتشار الثورة في صحراء مصر الغربية يجبر الإنجليز على نشر قواتها على طول وادي النيل بشكل يستهلك جزءا من مجهودها الحربي .

كان من الطبيعي أن يؤيد السيد أحمد الشريف رأي محمد صالح حرب فقرر أن تنقسم القوة إلى فريقين :فريق يذهب إلى الجنوب وهدفه احتلال الواحات ، وكان يتألف من ثلاثة آلاف وخمسمائة مجاهد تقريبا يقودهم محمد صالح حرب تحت إشراف السيد أحمد الشريف السنوسي ، والقسم الآخر في الشمال (الساحل) ويقوده جعفر العسكري ويشرف عليه القائد العام نوري باشا وعدد قواته حوالي ستة آلاف مجاهد[25] .

ولم يكتفي السيد أحمد الشريف السنوسي بهذا ، بل منح محمد صالح حرب رتبة اللواء الفخرية بصفته نائبا للخليفة الأعظم ، وهو ما يؤكد ثقته التامة في كفاءته ،وبالفعل أكدت الأحداث صواب رأي محمد حرب ، فقد فاجأت القوات الإنجليزية قوة نوري وجعفر في 26 فبراير 1916م ، وتمكنت من تشتيتها ومطاردة فلولها بالسيارات المدرعة واستولى الإنجليز على سيدي براني ، ودخلوا السلوم في 24 مارس 1916م ، واستولوا على معسكر السنوسيين والمجاهدين بها[26] .

رغم انتصار الإنجليز ، إلا أنهم كانوا يدركون خطورة الجيش الذي يقوده محمد صالح حرب ، فأنشئوا نظاماً جديداً للدوريات من الفيوم إلى أسيوط ، ووضع قوات خفيفة للحركة عند بني سويف وأنشأت البحرية البريطانية قاعدة للتمويه عند براني ، وأنشأت محافظة جديدة خاصة بالحدود الغربية سميت محافظة الغرب ، وشملت من الشمال : مرسى مطروح ، الضبعة ، سيدي براني ، سيوة . ومن الجنوب : الواحات البحرية ، الفرافرة ، الواحات الداخلة والخارجة ، وعين اللواء هانتر باشا حاكما على هذه المحافظة ، وأخضعت للأحكام العرفية وتقرر إلحاقها بالسلطة العسكرية رأسا ، وانتشرت لواءات المشاة على طول غرب النيل ، وكونت جزءا من قوة الحدود الغربية وأصبحت واحة الفيوم من المراكز الدفاعية المهمة ،ووضعت حاميات كبيرة بين الفيوم وأسوان[27] .

أما قوات السنوسي التي يقودها حرب فقد اتجهت جنوبا إلى سيوة فاعترضت الدبابات والمصفحات البريطانية سبيلها فنشبت معركة ضارية استمرت يومين ، وانتهت بانسحاب القوات الإنجليزية إلى مطار حربي على مقربة من واحة سيوة للتزود

[24] – أحمد حسن الكتاني ، المرجع السابق ، ص49.
[25] – مجيد خدوري ، المرجع السابق ، ص 41.
[26] – بروشين ، المرجع السابق ، ص 113.
[27] – حسين مؤنس ، مصر ورسالاتها ، القاهرة ، 1989 م، ص112.

بالوقود والمؤن ، وكان من نتيجة المعركة فشل خطة الإنجليز في القضاء على المجاهدين ومنعهم من الوصول إلى الواحات المصرية الجنوبية[28] .

وعندما توجه السيد السنوسي وقواته إلى سيوة قابلهم أهلها بالترحاب وأعلنوا ولائهم له ، فأقام بها، وعين محمد حرب حاكماً عليها ، فسارع بإنشاء رجال شرطة من السنوسيين ، وادخل كثيرا منهم في قواته ، كما تمكن المجاهدون بقيادة حرب من الاستيلاء على الواحة البحرية في 11 فبراير 1916م ، ثم على الفرافرة ، والداخلة ، وأنضم إليهم كل من كان في هذه الواحات من الموظفين المصريين والضباط والجنود ، وكثرت العمليات الحربية بين المجاهدين والقوات البريطانية في الواحات الجنوبية طوال عام 1916م ، فأتخذ الإنجليز تدابير واسعة في وادي النيل لموجهة قوات المجاهدين ، ودخلت الطائرات الإنجليزية ميدان المعركة وبدأت في استكشاف مواقع المجاهدين لوضع خطة لمحاصرتهم والتغلب عليهم إلا أن المجاهدين نجحوا في شن هجمات عديدة على مناطق واسعة في الفيوم ومريوط، ودمروا خلالها سكة القطار الجديدة لعرقلة القوات الإنجليزية في التزود بالأسلحة والذخيرة والمؤن[29] .

ترك محمد صالح حرب قوة قليلة في واحة سيوة لملاحظة الأمن وحمايتها كما ترك قوة أخرى للغرض نفسه في كل من واحتي البحرية والفرافرة وأنشأ معسكرا في قرية أفتيدة (من قرى الواحات الداخلة) وأقامت القوة الرئيسة في الداخلة ، ثم بدأ صالح حرب مفاوضاته مع مشايخ العرب في المنيا وأسيوط والفيوم ، غير أن الردود كانت غير مشجعة على إرسال العصابات إلى بلدان الصعيد لأن الأمور كانت بيد الإنجليز ، وكان أشد ما يخشى صالح حرب أن تترك مجموعات المجاهدين في الصعيد على غير رغبة المشايخ مما قد يضطرهم إلى أخذ احتياجاتهم الغذائية من الأهالي عنوة فيصطدم بهم ولذلك منع المجاهدين من النزول إلى الصعيد وأكتفى المجاهدون بالمعيشة على التمر وحده عدة شهور[30] .

وأمام هذا الوضع ، قرر الإنجليز القضاء على جيش السنوسي الذي يقوده حرب قضاءً مبرماً ، ووضعوا لذلك خطة قوامها أن يجتمع حشد كبير من الإنجليز في الواحات الخارجة تقوم بشن هجوم عنيف على المجاهدين في الواحات الداخلة ، بينما تجتمع قوات انجليزية أخرى عند (عزو الرمالك) غربي الفيوم تكون مهمتها الهجوم على الواحات البحرية ، ثم تجتمع قوة ثالثة من السيارات المدرعة عند منطقة الجفرة قرب منخفض قتارة حتى تقطع خط الرجعة على المجاهدين[31] .

لما كانت هذه الخطة تهدف إلى الإحاطة التامة بجيش السنوسي في الواحات الداخلة ، فقد بات من الضروري الانسحاب من الداخلة إلى الغرب جنوب سيوة والجغبوب ولاسيما أن الأخبار وصلت إلى الداخلة بفشل حركات الشرق وإخفاق جيش جمال باشا في اقتحام قناة السويس فضلاً عن أن الإنجليز استطاعوا أن يكشفوا مركز الجيش بواسطة طائراتهم وجلبوا الإمدادات للإحاطة وتحطيمه، ولذا فلم يعد من الحكمة بقاء الجيش في الداخلة فاستقر الرأي على الانسحاب بعد أن

[28] – المرجع نفسه ، ص114.
[29] – سامي حكيم ، حقيقة ليبيا ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1968م ، ص61.
[30] – سامي حكيم ، المرجع السابق ، ص62.
[31] – أحمد حسن الكتاني ، المرجع السابق ، ص51.

شغل الإنجليز مدة طويلة ، وفي هذه الأثناء وصل أحمد الشريف السنوسي من الجغبوب وسيوة في أواخر 1916م فقامت الاستعدادات لإتمام الانسحاب من الداخلة بكل سرعة[32] ، ولم يكن الانسحاب بالمهمة السهلة ، فقد كان من اللازم أن يتم دون علم العدو حتى لا يقوم بهجوم على الجيش المنسحب فضلاً عن مشكلة النقل الصعبة إذ لم يبق لدى جيش السنوسي سوى مائة وعشرون جملاً فقط من إجمالي ثمانمائة جمل ، فضلا عن تفشي مرض حمى الملاريا بين الجنود ، ونقص الأوعية اللازمة لنقل الماء ، وفي سبيل التغلب على هذه الصعاب ، تحركت الحملة من الواحات الداخلة إلى الواحات البحرية بهدف تضليل الإنجليز وإيهامهم أنه يريد تركيز قواته في الواحات البحرية لمهاجمتهم في الفيوم (عزو الرمالك) ، وزيادة في الخدع أرسل فرقة صغيرة لتقوم بحركة استكشافية شرق (عزو الرمالك) حتى يتوهم الإنجليز أنها مقدمة لهجوم عام على مراكزهم ، فأعتقد الإنجليز أن الجيش على وشك القيام بهجوم عام ضدهم فأخذوا يجمعون قواتهم ، وهنا أنتهز السنوسي ومحمد حرب الفرصة فأمروا بانسحاب الحملة من الواحات البحرية ثم انسحبت الفرقة الاستكشافية من (عزو الرمالك) وتابع الجميع سيرهم صوب الغرب[33] .

عندما تبين للإنجليز خديعتهم ، تعقبت سياراتهم المدرعة الجيش ولكنه أستطاع أن يعتصم بالغرود (الجبال الرمالية) فتعذر على السيارات أن تسير في أثره ، ووصل الجيش في أمان إلى سيوة ، وكان أول ما عني به حرب عند وصوله إرسال التمر إلى الجغبوب لتأمين تموين الجيش عند وصوله إليها ، ولما لم يكن لديه عدد كاف من الجمال لنقل التمر إلى الجغبوب ، فقد اضطر إلى الانتظار في سيوة مدة شهر تقريباً [34] .ولقد استطاع فيما بعد أن يرسل أكبر عدد من جيشه إلى الجغبوب ولم يبق لديه سوى كتيبة حملة القرآن الكريم وحرس السيد أحمد الشريف الخاص وكتيبة أخرى من قبيلة (الحاسة) وثالثة من قبيلة (العبيدات) وعدة مدافع وبلوك واحد من الزنوج السنوسيين ، وأستقر بهذه القوة الصغيرة في (قربة) وكانت تتألف من حوالي الثلاثمائة مقاتل[35] .

لقد قام الإنجليز بهجوم مفاجئ على قوة السنوسي في حطية (قربة) ونشبت معركة حامية بين الفريقين ، أستطاع صالح حرب فيها تعطيل حركات العدو ومناوراته العسكرية ، إلا أنه رأى من الحكمة أن ينسحب أمام تفوق الإنجليز في العدد والعدة ، فأشار على السيد أحمد السنوسي بالانسحاب إلى حطية (أم عشا) ، وأنسحب صالح حرب هو الآخر بمدافعه وذخيرته وقوته إلى (أم عشا) ثم تابع الجميع سيرهم حتى وصلوا إلى (المناصب) ، حيث وجدوا العدو الذي اخذ يتعقبهم ويسد عليهم الطريق بسيارته في السهل ، غير أن عجز السيارات عن الصعود على التلال الرملية المنحدرة فوت على الإنجليز غايتهم ووصل الجيش إلى قرية (الشهيات) ومنها إلى الجغبوب فدخلوها في أوائل عام 1917م[36] .

---

32 – أحمد حسن الكتاني ، المرجع السابق ، ص51.

33– مجيد انيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ، القاهرة ،1977 ، ص212.

34– نازك زكي إبراهيم ، ليبيا والغرب ، القاهرة ، سنة 2000 ، ص21.

35 – أحمد حسن الكتاني ، المرجع السابق ، ص52.

36 – أحمد حسن الكتاني ،المرجع السابق ، ص57.

لمس السيد أحمد الشريف إخلاص محمد صالح حرب خلال هذه المعارك ، فمنحه رتبة فريق وسر ياوران الخاص والنيشان المجيدي الثاني ، وأتخذه مستشارا وقائدا عاما لجيشه ، وهو ما يتضح من الفرمان الذي أصدره السيد أحمد في (السابع من ربيع الأول 1235هـ \ أول يناير 1917م) :

" ألتحق بجيشنا المنصور بالله محباً في دين الله وخدمة لخليفة رسول الله ، واشهد الله أني رأيته يقوم بخدمة جليلة لدولة الإسلام قلَّ من يقوم بمثلها في الأنام ..... " [37] .

ولدى وصول الجيش إلى الجغبوب ، حدث تطور مفاجئ قلب كل الموازين لدى السيد أحمد الشريف وصالح حرب ، وذلك أن الإنجليز بعد فشلهم في القضاء على الجيش ، لجئوا إلى الاتصال بالسيد محمد إدريس السنوسي (1889-1983) ابن عم السيد أحمد الشريف كي يدفعوه لاتخاذ موقف متشدد مع ابن عمه وذلك لخلق فتنة بينهما إلا أن موقف السيد محمد إدريس كان لصالح الوطن وللسيد أحمد الشريف ففشل مسعاهم [38] .

لقد كانت علاقات الإنجليز بالسيد إدريس السنوسي ودية في البداية ، واستمرت تنمو وتزدهر طوال سنة 1913م ، وتجددت تلك الاستمالة في بداية سنة 1914م عندما توجه السيد إدريس إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، حيث عرج في طريقه على مصر فقوبل بالتبجيل والاحترام من قبل السلطان حسين كامل (1853-1917) سلطان مصر وحملته باخرة خاصة إلى حيفا ، ومنها إلى الأراضي المقدسة، وفي طريق عودته لقي من الاحترام ما فاق المرة الأولى ، وأجتمع إلى اللورد (كتشنر) قائد القوات الإنجليزية في مصر ، ونقل بطراد بريطاني إلى السلوم ، حيث جرى له وداع رسمي على الحدود ، حاول الإنجليز أن تنعكس نتائج هذه الزيارة على علاقة إدريس بابن عمه السيد أحمد الشريف ، بعد ذلك طلب السيد إدريس عدم موافقته على بقاء الأتراك ، وطلب من السيد أحمد ضرورة المحافظة على العلاقات الودية مع كل الأطراف ، وقد كان هذا الطلب ليس ما يريده السيد أحمد الشريف ولكنه تعامل وأبن عمه إدريس على المصلحة العامة للوطن وبذلك فشل الإنجليز تماماً في بث روح الفرقة في العائلة السنوسية والتي كان الهدف منها شق صف المجاهدين . ومن المعلوم أن السيد أحمد الشريف كان قد عين ولياً على السيد إدريس السنوسي حتى يبلغ رشده وما أن بلغه حتى طلب منه أي السيد أحمد الشريف أن يبادر إلى ممارسة صلاحياته استناداً إلى حقه في وراثة والده[39] .

وهكذا فشلت أهداف الإنجليز والإيطاليين مع السيد إدريس وخاصة عندما عرضوا عليه الصلح والاعتراف بإمارته على برقة والجبل الأخضر نظير طرد نوري باشا ومن معه من الضباط الأتراك ، وإقناع أبن عمه بمغادرة المنطقة ، ولعلَّ هذا يتضح من رسالة السيد إدريس إلى السيد أحمد الشريف في (25 صفر سنة 1335هـ/21 ديسمبر 1916م) ، الذي يذكر له فيها ضرورة

[37] – محمد صالح حرب ، الوطن والجيش ، ص48.
[38] – دار الوثائق القومية ، محافظ عابدين ، محفظة 35.
[39] – محمد فؤاد شكري ، السنوسية دين ودولة ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، 1957م ، ص135.

إلى ما فيه فائدتنا ، وما يحقق مصلحة بلادنا حتى لا يذهبوا ضحية العثمانيين ، ويرى أنه لا فائدة من استمرار التعاون معهم لأن قضيتهم خاسرة[40] .

وعندما فشل الإنجليز في تحقيق هدفهم ، لجئوا إلى التهديد بتدمير الجغبوب وتحطيم مقام السيد محمد أبن علي السنوسي المشيد بها ، وفي ذلك يقول صالح حرب :

" وقد أقمنا في جغبوب أسبوعا واحدا ثم جاءنا خطاب من السيد محمد إدريس السنوسي وهو بعكرمة ، أنه جاءه إنذار من الإنجليز يقولون فيه أنه إذا لم يبرح السيد أحمد الشريف وصالح حرب جغبوب خلال أيام محدودة فإنهم سيضطرون إلى تدمير الجغبوب وتحطيم مقام السيد محمد بن علي السنوسي المشيد بها، وأنهم – أي الإنجليز- احتراما منهم لقداسة هذه البقعة رأوا أن يوسطوا السيد محمد إدريس حتى يمنع هذه الكارثة الخطيرة التي ستترتب على وجود السيد أحمد الشريف وصالح حرب بالجغبوب وذلك بأن يعمل على ترحيل قوات المجاهدين منها"[41] .

أحدثت هذه الرسالة في نفس السيد أحمد الشريف قلقا شديداً لأنه خشي أن ينفذ الإنجليز عزمهم فيدمرون هذه البقعة ، فضلاً عن ذلك فإنه لم يشأ أن يعطل بوجوده في الجغبوب اتفاقات الصلح بين السيد محمد إدريس وبين الإنجليز والايطاليين ، ويرى البعض أن السيد أحمد قد اقتنع بأن رجاله قد وصلوا إلى حالة من الإعياء لا يمكن معها مواصلة القتال وأنه من الأفضل الاتجاه إلى المفاوضة .

هذه الأسباب مجتمعة هي التي جعلت السيد أحمد الشريف لا يسمع لرأي صالح حرب – القائد العام لجيشه وفضل الانسحاب من الجغبوب و عدم تعريض مقام جده لخطر التدمير، ولهذا قرر السيد أحمد مغادرة الجغبوب والتوجه إلى واحات (جالو و أوجلة) في غرب ليبيا، ورغم صعوبة السفر وعدم توفر الإمكانيات للمجاهدين والبالغ عددهم أربعة آلاف مسلح ، والذين كانوا في حالة سيئة ، وعند وصوله إلى منطقة (حطية الفريدغة) جاءته رسالة من إدريس تحثه فيها على ضرورة الانسحاب من برقة خوفاً عليه من الإنجليز والايطاليين ، مما تسبب في تفرق بعض المجاهدين الذين كانوا في رفقة السيد أحمد بينما واصل السيد أحمد سيره إلى (أوجلة) حيث مكثوا بها قرابة شهر ، وقرر الرحيل إلى واحة (مرادة) ثم إلى واحة (زلة) ثم أنتقل إلى قرى الجفرة وواحاتها (هون وسوكنه وودان) في (16 رمضان 1335هـ /6 يوليو 1917م)[42] .

---

[40] – المرجع نفسه ، ص135.

[41] – محمد صالح حرب ، الوطن والجيش ، ص34.

[42] – محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص136.

كان وجود المجاهدين مع السيد أحمد الشريف وصالح حرب في هذه المنطقة قد أقلق رمضان السويحلي (1879-1920) ، وهو ما أقلق أيضاً نوري باشا الذي كان موجوداً في مصراته ، فأرسل إلى صالح حرب لكي يبذل ما في وسعه لإقناع السيد أحمد الشريف بأن ينزل بقواته إلى ساحل البحر في جهة (سرت) أو (سلطان) لمحاربة الايطاليين لإزالة ما يسببه وجوده في جنوب الوادي من قلق لدى السويحلي ، ولما كان السيد أحمد الشريف قد عقد النية على التوجه إلى (فزان) ثم إلى السودان الغربي فقد ألقي صالح حرب صعوبات في إقناعه ونزل الجميع إلى الشمال ووصلوا إلى (سلطان) شرق سرت ، وهناك بدأ المجاهدون بالدخول في مناوشات مع الايطاليين وذلك بالرغم من شدة تعبهم ونقص المؤن والسلاح ، وقد اشتبك صالح حرب في معركة مع الايطاليين[43] .

وعندما وصل السيد أحمد وأتباعه إلى درجة من الاحتياج الشديد إلى المؤن وبعد أن تساقط عشرات الموتى منهم ، أرسل صالح حرب بعض الضباط إلى نوري باشا في مصراته لكي يأتوا بالإعانة التي وعد بها الأخير ، وبالفعل زودت قافلة بصناديق تشمل الأسلحة والمؤن ، إلا أن رمضان السويحلي دبر أمر القضاء على تلك القافلة والاستيلاء على المؤن والسلاح ، ونجح في ذلك وقتل أفراد القافلة ونهبت الأموال والسلاح ، مما كان له أثره السيئ في نفس نوري باشا[44] إلا أن تأثيرها على صالح حرب كان أشد وكاد الزمام يفلت من يده ، إذ أصر المجاهدون على مهاجمة مصراتة انتقاما منهم وثأرا لأنفسهم ، لكن السيد أحمد الشريف استطاع بفضل مكانته بين المجاهدين وبمعاونة صالح حرب تهدئة النفوس الثائرة ، وهكذا وجد السيد أحمد السنوسي وصالح حرب أنهما قد أصبحا بين نارين ، نار السويحلي من الغرب ونار الإيطاليين والإنجليز من الشرق .

حاول نوري باشا أن يوفق بين السويحلي والسيد أحمد الشريف كممثل للسلطان في منطقة طرابلس ، غير أن السويحلي رفض أن يعترف بشخص من السنوسية كممثل للسلطان في طرابلس وبخاصة إذا كان هذا الممثل من خارج طرابلس نفسها ، وكان هذا يعني أن نوري باشا فشل فشلاً ذريعاً في تحريك جبهة طرابلس ضد الايطاليين بسبب إخفاقه في تكوين سلطة موحدة طرابلسية تواصل الجهاد بصورة منتظمة ، ولذلك سافر إلى تركيا في أوائل شهر يناير 1918م ، ووصل الأمير عثمان فؤاد (1895-1973) ، قائداً عاماً للقوات المسلحة العثمانية في ولاية طرابلس في مايو 1918م[45] .

فشل الأمير عثمان فؤاد كذلك في التوفيق بين السيد أحمد السنوسي ورمضان السويحلي ، حيث ذهب صالح حرب يحمل رسالة من السيد أحمد الشريف إلى الأمير عدنان فؤاد ، يطلب إليه أن تقوم إحدى الغواصات الألمانية بنقله إلى الآستانة ليقابل أنور باشا (1881-1922) وزير الحربية العثمانية لبحث تطورات الموقف ، وبعدها إما أن يرجع مزوداً بما يساعده على

43 – مجيد خدوري ، المرجع السابق ، ص131.
44 – أحمد حسن الكتاني ، المرجع السابق ، ص55.
45 – أحمد حسن الكتاني ، المرجع السابق ، ص55.

استرداد نفوذه في طرابلس ، وإما أن يستريح في الأستانة إلى نهاية الحرب ، وأخيراً أتفق على أن تضع وزارة الحربية الألمانية تحت تصرف السيد أحمد السنوسي غواصة قامت بنقله هو وقائد قواته صالح حرب إلى أوربا ومنها إلى الأستانة ، حيث مكثا فيها[46].

ما يهمنا هنا هو أن نلقي نظرة على أثر تلك الحركة التي قام بها صالح حرب ضد الإنجليز من خلال قيادة جيش السيد أحمد الشريف ، فقد استطاعت تلك الحركة أن تكبد انجلترا خسارة مالية بحوالي 56 مليون جنيه فضلاً عن احتجاز قوات كبيرة من الإنجليز كانوا في أشد الحاجة إليها لاستخدامها في الدردنيل وقدرت تلك القوة الإنجليزية بخمسة وثلاثون ألف جندي[47] .

ويمكن القول أن صالح حرب هو أول ضابط مصري تحت قيادة السيد أحمد الشريف يقوم بحركة مسلحة ضد الإنجليز منذ عام 1882م ، مما أدى إلى انضمام مجموعة من الضباط المتعاونين مع الحزب الوطني إلى جيش السنوسيين في الجبهة الغربية ، وكان من الممكن لحركته أن يكون تأثيرها كبير لولا عوامل خارجية تمثلت في فشل حملة جمال باشا (1872-1922) في الوصول إلى قناة السويس ، وفشل حملة نوري باشا على الحدود الشرقية ، وكذلك فشل ثورة علي دينار (1856-1916) في دارفور بالسودان (نوفمبر 1916م) ، هذا فضلاً عن عوامل داخلية تمثلت في رفض مشايخ العرب في المنيا وأسيوط والفيوم الاستجابة لطلب صالح حرب بأرسال قوات المجاهدين إلى الصعيد وإمدادهم بالمؤن لمهاجمة معسكرات الإنجليز ، وذلك لشدة الإجراءات التي اتخذتها السلطات البريطانية وخاصة أثناء الحرب العالمية الأولى حينذاك ، ولو تم ذلك لكان من الممكن أن تندلع ثورة شعبية في الصعيد قبل ثورة عام 1919م .

كما كانت تلك الحركة تمهيداً لانفجار الثورة الشعبية عام 1919م التي ضمت كل طوائف الشعب المصري من المسلمين والأقباط والرجال والنساء كما أن قوات السيد أحمد الشريف التي كانت تحت قيادة صالح حرب قاتلت في أرض مكشوفة وبأسلحة تقليدية (بنادق وخيل وجمال) بينما أستخدم الإنجليز المدفعية والطائرات ، فضلاً عن صعوبة وصول التموين وانقطاع موارده ، أما العامل الحاسم في إفشال هذه الحركة فهو الخلاف في وجهة نظر السيد إدريس السنوسي والسيد أحمد الشريف الذي أدى إلى شلّ حركة جيش صالح حرب ، مما أدى إلى تفرقة والتحاق بعض أفراده بالسيد إدريس والبعض الأخر وصل إلى مصراته[48] .

وساعد صالح حرب الليبيين أثناء تكوين الجيش الليبي في صحراء أبو رواش خاصة بعدما عين وزيرا للدفاع حيث اختير في فترة شهدت نشوب الحرب العالمية الثانية ، في وزارة علي ماهر (1881-1960) الثانية في 18 أغسطس سنة 1939م واستمرت حتى يونيو سنة 1940م وجاءت بهدف تقوية الروح المعنوية والعسكرية في البلاد حتى تستشعر الأمة العزة والكرامة ،

46 – المرجع نفسه ، ص56.
47 – مجيد خدوري ، المرجع السابق ، ص132.
48 – أحمد حسن الكتاني ، المرجع السابق ، ص56.

ولهذا تم اختيار صالح حرب وزيرا للدفاع فيها أمراً مفاجئاً . وذلك نظراً لكفاءته وماضيه العسكري الوطني وخبرته بالصحراء الغربية[49] .

وكان للحرب أكبر الأثر في أعمال وزارة علي ماهر إذ صرفت همها إلى شئون الدفاع وتوفير المال اللازم لها ، فوقعت على كاهل صالح حرب مهمتان أساسيتان ، الأولى تحديث الجيش المصري، والثانية مقاومة النفوذ البريطاني في الجيش وتجنيب مصر ويلات الحرب[50] ، وتشير الوثائق المصرية إلى أن تعيين صالح حرب وزيرا للدفاع كان له أكبر الأثر في نفوس عرب ليبيا ، حيث قابلوا ذلك بالارتياح والتطلع إلى مساعدتهم في التخلص من الاحتلال الإيطالي ، كما أن صالح حرب كان له ماض مجيد في ليبيا ومركز ممتاز بين العرب هناك[51] .

بتعين صالح حرب وزيرا للدفاع ، بدأت مرحلة جديدة في وزارة الدفاع وهي مرحلة سوف يكون لها تأثير كبير في العلاقات المصرية البريطانية ، إذ تم تعيين عزيز المصري (1879-1965) رئيساً للأركان من ناحية ، وبدأت مرحلة تنظيم وتحديث الجيش المصري من ناحية أخرى[52] .فقد رأى صالح حرب أن من واجبه تبليغ رئيس الوزراء والملك فاروق (1920-1965) بضرورة وضع خطة للدفاع عن حدود مصر الغربية ، لأن الخطر كان متوقعا منها ، نظرا لوجود القوات الايطالية في ليبيا وبناء على ذلك تفقد الملك فاروق وعلي ماهر وصالح حرب الحدود الغربية ومعهم قائد القوات البريطانية (ويلسون) حيث أقنع صالح حرب (ويلسون) بضرورة وضع خطة للدفاع عن الصحراء الغربية[53] ، وتتمثل تلك الخطة في تكوين قوة ميكانيكية حديثة ، سميت بالقوة الجنوبية الغربية ، تكونت من اللوارى الميكانيكية المدرعة ، كما تقرر اعتماد مبلغ عشرين ألف جنيه مصري لإقامة الاستحكامات ومتطلبات الدفاع العاجلة بمرسى مطروح والحدود الغربية[54] .

تقدم صالح حرب بمذكرة إلى رئيس مجلس الدفاع الأعلى علي ماهر لتخصيص مبلغ ثلاثين ألف جنيه لمواصلة أعمال التحصينات للدفاع عن البلاد وبوجه عام ومرسى مطروح بوجه خاص[55] ، ولتنفيذ تلك الخطة وجه صالح حرب خطابا إلى وزير المواصلات يطلب فيه سرعة إنشاء خطوط جديدة فرعية عند الكيلو 219 بالقرب من مرسى مطروح ، على أن يتحمل الجيش البريطاني النفقات المالية[56] ، وفي هذا الصدد ، تشير وثائق مكتب المشير إلى ما قامت به مصلحة الأشغال العسكرية بالأعمال

[49] – أحمد حسن الكتاني ، المرجع السابق ، ص135.
[50] – المرجع نفسه ، ص136.
[51] – مجيد خدوري ، المرجع السابق ، ص 218-219.
[52] – أحمد حسن الكتاني ، المرجع السابق ، ص137.
[53] – مجدي رشاد عبد الغني ، العلاقات المصرية الليبية 1945-1969م ، الهيئة المصرية العامة الكتاب ، القاهرة ، 2007م.
[54] – مجيد خدوري ، المرجع السابق ، ص 219-220.
[55] – نازك زكي إبراهيم ، ليبيا والغرب ، ص91.
[56] – مجيد خدوري ، المرجع السابق ، ص222.

الخاصة عموماً والصحراء الغربية بوجه خاص ، كما أن هناك أوامر من صالح حرب إلى مدير عام مصلحة الحدود بضرورة عمل الدوريات المستمرة والإبلاغ عن أي تحركات للعدو قرب الحدود[57] .

نتيجة لذلك أصبحت القوة الجنوبية الغربية أول قوة ضاربة متحركة في الجيش المصري وصدرت التعليمات إلى تلك القوة في أوائل إبريل سنة 1940م بالتحرك وبناء على أتفاق صالح حرب مع قائد الجيش البريطاني ، فقد تقرر سحب هذه القوة من الواحات البحرية إلى مكان الجيش المصري والبريطاني ، الموزعة على الخط الأساسي لهجوم الأعداء على مصر ، وذلك حتى يمكن إمداد هذه القوة وتموينها بالسكة الحديد إلى أن يحين وقت إرسالها إلى الجبهة ، وفعلاً تم انسحاب هذه القوة من الواحات البحرية إلى القاهرة ثم أعيد تنظيمها ، وأطلق عليها اسم القوة الخفيفة[58] .

صدرت بعض الأوامر الخاصة بتلك القوة في إبريل سنة 1940م من حيث واجباتها وأماكن تجمعها وفي الاجتماع الذي عقد بوزارة الدفاع الوطني في مايو سنة 1940م تقرر وضع المشروعات اللازمة لهذه القوة ، وبتاريخ 9 مايو و17 مايو سنة 1940م صدرت الأوامر بتفاصيل تشكيل هذه القوة لكي تكون جاهزة للتحرك[59] .

57 – أحمد حسن الكتاني ، المرجع السابق ، ص133.
58 – نازك زكي ، المرجع السابق ، ص 92-93.
59– مجيد خدوري ، المرجع السابق ، ص223.

الخاتمة

عقب الغزو الايطالي لليبيا سنة 1911م قامت القوات الايطالية بالانتقام من الليبيين الذين تمكنوا من صدهم خلال الأشهر الأولى التي سبقت توقيع اتفاقية أوشي لوزان بين ايطاليا من جانب والدولة العثمانية من جانب آخر ولهذا فضلت بعض القبائل الهجرة إلى مصر التي اتخذتها قاعدة لانطلاق حركة الجهاد الليبي ضد المستعمر الايطالي ، ولعبت بعض الشخصيات المصرية دوراً مهما في هذه الحركة ومنها محمد صالح حرب وهو أول ضابط مصري يقوم بحركة مسلحة ضد الإنجليز منذ عام 1882م بعد أحمد عرابي باشا ، وانضم إليه مجموعة من الضباط والمتعاونين مع الحزب الوطني إلى جيش السنوسيين في الجبهة الغربية ، وساعد صالح حرب المجاهدين الليبيين بإمدادهم بالسلاح والمؤن والعتاد وكان صالح حرب مخلصا جدا للسيد أحمد الشريف السنوسي خلال خوضه للمعارك معه ، فمنحه رتبة فريق وسري وران الخاص به والنيشان المجيدي الثاني ، وأتخذه مستشارا وقائدا عاما لجيشه وأصدر له فرمان بذلك ، وكبد صالح حرب انجلترا خسائر مالية كبيرة كما أحتجز قوات بريطانية كثيرة كانوا في أشد الحاجة إليها ، كما ساعد في تكوين الجيش الليبي في صحراء ابورواش عندما عين وزيراً في وزارة علي ماهر باشا 1939-1940 م كما كان له أكبر الأثر في نفوس عرب ليبيا ، حيث قابلوا ذلك بالارتياح والتطلع إلى مساعدتهم في التخلص من الاحتلال الايطالي ووضع خطة للدفاع عن حدود مصر الغربية فتكونت القوة الجنوبية الغربية كأول قوة ضاربة متحركة في الجيش المصري .

قائمة الوثائق

- دار الوثائق ، محافظ عابدين ، مجلس الوزراء المصري ، محفظة (35) مذكرات وزارة الحرب والبحرية.
- دار الوثائق القومية ، محافظ عابدين ، محفظة رقم (124) تقارير عن ليبيا لعام 1914م .
- دار الوثائق القومية ، محافظ عابدين ، محفظة رقم (1422) عن الحدود الغربية لمصر .

قائمة المراجع

- إبراهيم، نازك زكي ، ليبيا والغرب ، القاهرة ، 2000م.
- أبو عجيلة، محمد الهادي ، كفاح الشعب الليبي من أجل الاستقلال والوحدة ، رسالة دكتوراه ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، 1987م.
- أحمد، ثناء عثمان ، مصر وليبيا من الاحتلال البريطاني حتى نهاية الحرب العالمية الثانية رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب عين شمس ، 1995م.
- السيد، أحمد لطفي ، قبائل العرب في مصر ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1935م .
- الشيخ، رأفت غنيمي ، مصر والسودان في العلاقات الدولية ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، 1981م.
- الكتاني، أحمد حسن ، الكفاح العربي الإسلامي ضد الاستعمار، دار عين ، القاهرة ، 2007م.
- المجبري ، عامر ، من كفاح ليبيا ، منشأة المعارف الإسكندرية 1975.
- إيليتش، بروشين نيكولاي ، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر في حتى عام 1969م ، ترجمة وتقديم عماد حاتم ، مراجعة ميلاد المقرحي ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 1988م.
- حرب، محمد صالح ، الوطن والجيش ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1940م.
- حكيم، سامي ، حقيقة ليبيا ، الأنجلو المصرية ، القاهرة 1968 ، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين التاريخية ، شعبة الوثائق ، ملف رقم (175) ، 1992م ، قائمة بأسماء الجنود والضباط الليبيين في الجيش الليبي البريطاني.
- خدوري، مجيد ، ليبيا الحديثة ، دراسة في تطورها السياسي ، ترجمة نقولا زيادة ، مراجعة ناصر الدين الأسد ، دار الثقافة ، بيروت ، 1966م.
- رمضان، عبد العظيم ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، القاهرة ، 1980م .
- شكري، محمد فؤاد ، السنوسية دين ودولة ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، 1957م.

- عبد الغني، مجدي رشاد ، العلاقات المصرية الليبية ، 1945 1969م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2007م.
- محمود، حسن سليمان ، ليبيا بين الماضي والحاضر ، طرابلس ، سنة 1961م.
- مؤنس، حسين ، مصر ورسالاتها ، القاهرة ، 1989م.